تقسيم نوب الماء

ووضع اسماء عربية لساعاتها

جاء في كتاب من السيد زكي بقلة احد كبار المزارعين في (كفرسوسا) قال فيه : ارجو التفضل ببيان اسماء الاربع والعشرين ساعة الزمانية اليوميـة لقضية تتعلق بتقسيم نوُب الماء الخ :

هذا ما سألتنيه السيد المذكور . ولا يخفى ان دمشق من اكثر بلاد الله قنوات فقد احصى ابن عساكر في تاريخه الكبير قنواتها فبلغت ١٣٠ في داخلها و ٢٠ في ظاهرها و بلغت حماماتها ٥٧ حماماً سوى حمامات القرى . والبلاد التي تسقى أراضيها بمياه السيح يقع بين اربابها نزاع وخصام بشأن سقي اراضيهم ولا سيما ايام (النحاربق)[1] وكثيراً ما ادى النزاع حول سكور الماء . الى سفك الدماء . ومما له علاقة بذلك ان شاعراً جاهلياً بخس حقه في مائه فجعل يبكي فقالوا له مالك ؟ أجننت ؟ فأنشد .

(وقالوا قد جننت فقلت كلاّ ورب ما جننت ولا انتشيت)
(ولكني ظلمت فكدت أبكي من الظلم المبين أو بكيت)
(فإن الماء ماء أبي وجدي وبئري ذو حفرت وذو طويت)

بل ان النزاع على الماء بلغ أمره الى أبعد من هذا : كما قص الوحي الالآهي علينـا ذلك في القرآن في خبر ناقة صالح مذ قال تعالى (هـذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) فمنعوها حقها في شربها وعقروها فاهلكهم الله تعالى .

والنصيب المعين من الماء يقال له في اللغة (شرب وسقي وفلد) بكسر أولها و يقال له في اصطلاح المزارعين (نوبة) و (عدّان) . وقد اصطلحوا في دمشق على تقسيم ساعات اليوم الى قسمين يسمونهما مصراعين (مصراع نهاري) وهو ١٢ ساعة (ومصراع ليلي) وهو ١٢ أيضاً . ولهذه الساعات عندهم اسماء بعضها عربي فصيح وبعضها مولد: فمن الفصيح كلمات (غداة) (ظهر) (عصر) (استواء) (طلوع) (غياب) (سحر) فيقول المزارع

(١) اي قلة المياه وهي من مصطلحات المزارعين المصريين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكفرسومي مثلاً (حق فلان من الشرب من أذان السحر الى الاستواء) اي الى وقت الزوال . و يقول المزي (حقه من الغد الى العصر) والديراني (من الطلوع الى الغياب). ولهم تعابير اصطلاحية تختلف باختلاف المناطق الزراعية من ذلك قول المزارع الشاغوري مثلاً (حق فلان من المادنة لى الظهر بة) أو (من المراسلة الى الظهر بة) و يعنون بالمادنة تأذين المؤذنين سحراً في المآذن كما يعنون بالمراسلة تلك التهاليل والتسابيح التي ينشدونها بتطريب من على المآذن في الثلث الاخير من الليل . و يقول الشاغوري ايضاً (حق فلان من الماذنة الى ثمانية اقدام صباحاً) أو (من الظهر بة الى ثمانية اقدام مساء) أي الى أن يصير ظل الشخص ثمان اقدام صباحاً وهذا وقت الضحوة او ثمانية اقدام مساء وهذا وقت العصر .

هذا نموذج من التعابير الاصطلاحية وهي كما يرى القارئ عتيقة بالية مختلفة باختلاف المناطق الزراعية ولم تعد صالحة لهذا الزمن الذي اخذت فيه لغتنا العربية تنتعش من كبوتها كما اخذت حكومتنا تعنى بالصحيح من الاساليب العربية تودعها قيودها وسجلاتها واوراق معاملاتها . وهذا ما حمل السيد زكي بقلة على استفتائنا في وضع كلمات فصيحة لساعات المصراعين الليلي والنهاري .

واصطلاح تقسيم ساعات اليوم يختلف باختلاف الامم منذ القدم حتى قالوا : إن الاصل في تقسيم النهار والليل الى أجزاء متساوية امر مجهول . وغاية ما علم من ذلك أن بعض القدماء قسم اليوم الى (٦٠)ساعة اي حصة من الزمان كالهنود و بعضهم الى (١٢) ساعة كالمصريين والصينيين فساعتهم ساعتان من ساعات زماننا . وبعضهم جعل الليل ١٢ ساعة والنهار ١٢ ساعة وهو اصطلاحنا اليوم .

وكما اختلف القدماء في تقسيم الساعات اختلفوا في ساعة الابتداء : فبعضهم جعلها الغروب وبعضهم الشروق . قالوا : ولا يخلو هذا التقسيم من خلل لاختلاف أوقات الشروق والغروب باختلاف الفصول حتى قام (أبرخوس) الفلكي اليوناني سنة (١٥٠ ق م) فضبط ساعات الليل والنهار وقسمها الى قسمين : أولها يبتدئ في منتصف الليل ، والآخر في منتصف النهار وهو الزوال . وقد جرى الاوربيون على ذلك ثم احدثوا أخيراً بدعة جديدة لفقوا فيها بين اصطلاح (أبرخوس) في جعل ساعة الابتداء نصف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الليل وبين اصطلاح آخر للقدماء وهو اعتبار مجموع ساعات الليل والنهار (٢٤) ساعة قسمة واحدة لا قسمتين ليلية ونهارية . فالساعة الاولى تبتدئ في منتصف الليل حتى اذا تمت الساعات الاثنا عشرة في منتصف النهار لم يبتدأ منه بساعة مستأنفة بل بساعة متممة رقمها ١٣ ثم ١٤ الى ٢٤ وقد أخذ هذا الاصطلاح في الشيوع بيننا اليوم ولم يألفه الناس بعدُ . ومن لطيف ما يروى ان النهار في اصطلاح العرب الأقدمين يبتدئ ايضاً من نصف الليل و ينتهي في نصف النهار ثم يبتدئ الليل من نصف النهار و يدخل وقت المساء حتى ينتهي في نصف الليل .

وقد ذكر البغدادي في رسالته التي جعلها ذيلاً لفصيح ثعلب ذلك فقال : « الصباح عند العرب منذ نصف الليل الاخير الى الزوال ثم المساء الى آخر نصف الليل الأول » فالعرب في هذا (التقسيم) و (الابتداء) كأنهم تواردوا مع (أبرخوس) اليوناني على هذا الاصطلاح .

اما النهار الشرعي الذي يتعلق به الصوم والصلاة فأوله عند اهل السنة الصبح الصادق الى غروب الشمس . والليل الشرعي من غروبها الى انبلاج الصبح الصادق .

وقريب من النهار والليل الشرعيين النهار والليل في اصطلاح المزارعين اليوم . فان النهار عندهم من الشروق الى الغروب ثم الليل من الغروب الى الشروق وساعاتهما ٢٤ ساعة . وهذا (التقسيم) و (الابتداء) هما اللذان نعتمد عليهما في وضع ألفاظ عربية لساعات نوب الماء . والا فان تخطي هذا الاصطلاح المألوف الى اصطلاح آخر ربما شوّش على المزارعين أمرهم وحال بينهم وبين الانتفاع بالأوضاع الجديدة التي نريد ان نعرضها عليهم .

والألفاظ التي يطلقها العرب على ساعات الليل والنهار كثيرة جداً وقد تتبعتها في كتاب (المخصص) فبلغت زهاء ١٧٠ اسماً نصفها لليل ونصفها للنهار ومعظمها من قبيل المترادف كالعتمة والفحمة . والصبح والفجر . والهاجرة والظهيرة . والشروق والدرور . والغروب والغياب . واذا كان هناك فرق بين كل كلمتين فهو اعتباري له علاقته بالاشتقاق اللغوي غالباً .

وعلى هذا يمكننا إرجاع هذه الكلمات الكثيرة الى اربع وعشرين كلة فقط نكتفي بها في تسمية ساعات الليل والنهار وتمييز احداها عن الاخرى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكلة (ساعة) في اللغة العربية لا يراد بها ساعتنا الزمانية المركبة من ستين دقيقة . والدقيقة من ستين ثانية . والثانية هي اللحظة من الزمان تسع قولك (واحد) — كلا لا يعرف العرب هذا الاصطلاح الفلكي الطاريء . وانما يريدون بالساعة الحصة من الزمن قلّت او كثرت . قال في (المصباح) « الساعة الوقت من ليل او نهار والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت وان قلّ . وعليه قوله تعالى : لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » اه .

واذا سمعت بعض ارباب المعاجم المتأخرين يقولون إن الساعة جزء من أجزاء الليل والنهار وهي اربع وعشرون ساعة فاعلم ان مرادهم الإشارة الى الاصطلاح الفلكي الخالف لا اللغوي السالف .

وتسمية ساعات الليل والنهار عند العرب مبنية على الكيفية لا الكمية اي على أحوال الشروق والغروب والحر والبرد والظلام والنور وأحياناً التوسط كالبهرة مثلاً فانها اسم للساعة الوسطى من الليل . وما كان العرب يبنون تسميتهم على الكمية فيحددوا الساعة بستين دقيقة والدقيقة بستين ثانية ، بل كانوا اذا احتاجوا الى التحديد استعاروا كلة (الفواق) مثلاً وهو مقدار مابين الحلبتين من الزمن فيقولون (عيادة المريض قدر فواق ناقة) . وفي الاسلام كانوا يقولون (أقام عندنا مقدار صلاة ركعتين مثلاً) اذ أن تحديد الزمان يعتمد على قواعد علم الفلك وآلاته . ولم يكن العرب القدماء يمارسون هذا الفن ولا يستعملون بنكاماته[1] . والساعات المائية والرملية انما استعملت في حضارة الاسلام . ومنها الساعة المائية التي أهداها هرون الرشيد الى شارلمان فرنسا . وكان مثلها في جامع بني أمية في دمشق وقد وصفها ابن جبير في رحلته .

هذا هو الشأن في أجزاء الزمان ومفهوم ساعاته عند العرب . ثم جاء القرن الرابع للهجرة : وهو الزمن الذي كان فيه للعرب القدح المعلى في الطب والهندسة والفلك فاصطنعوا الأزياج ورسموا الأفلاك وشيدوا المراصد — في ذلك العهد كان يعيش عالمان نبيلان وهما حمزة بن حسن الاصفهاني في فارس وابو جعفر النحاس المصري

(١) جمع بنكام وهي كما في شفاء الغليل الساعة النجومية من الرمل وقد حرّفته العامة قديماً فقالوا منكاب . واصل اللفظ يوناني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(المتوفى سنة ٣٣٨ هـ) في مصر فتوارد خاطرهما على اصطلاح جديد في تقسيم الليل والنهار الى أجزاء أو ساعات متساوية وهي (٢٤) ساعة : لليل ١٢ وللنهار ١٢ . ثم خصّا كل ساعة منها باسم عربي من الأسماء او الأوصاف الكثيرة التي سردها صاحب (المخصص) . وربما كانا في هذا الوضع متأثرين باصطلاح الفلكيين القدماء ولا سيما (ابرخوس) اليوناني كما مر .

وقد رتّب كل من (حمزة الاصفهاني) و (النحاس المصري) قائمة باسماء الساعات كما بدا له نذكرهما فيما يلي :

« قائمة حمزة الاصفهاني »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الشروق	الساعة الاولى	الشَّفَق
» الثانية	البكور	» الثانية	الغَسَق
» الثالثة	الغدوة	» الثالثة	العَتَمة
» الرابعة	الضحى	» الرابعة	السُّدفة
» الخامسة	الهاجرة	» الخامسة	الفحمة
» السادسة	الظهيرة	» السادسة	الزُّلَة
» السابعة	الرواح	» السابعة	الزُّلْفَة
» الثامنة	العصر	» الثامنة	البُهرة
» التاسعة	القَصْر	» التاسعة	السَّحَر
» العاشرة	الأصيل	» العاشرة	الفجر
» الحادية عشرة	العشيّ	» الحادية عشرة	الصبح
» الثانية عشرة	الغروب	» الثانية عشرة	الصباح

ورأيُ الاصفهاني في هذا الوضع محض اصطلاح له والا فأيُّ فرق بين الصبح والصباح وهما واحد عند اهل اللسان . ومما يدل على كونه اصطلاحاً ايضاً ان الثعالبي بعد ان سرد قائمة حمزة هذه في كتابه (فقه اللغة) تبرأ من تبعتها قائلاً (إن عليه اي على الاصفهاني عهدتها) . ودليل آخر ايضاً وهو ان الهمذاني صاحب كتاب الألفاظ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكتابية عقد فصلاً لساعات الليل والنهار فجعل ساعات النهار ست عشرة ساعة وساعات الليل سبعاً .

ودليل رابع ايضاً : ذلك ان علماء اللغة اذا ذكروا أسماء ساعات الليل والنهار في معاجمهم كالقصر مثلاً فلا يقولون هي الساعة التاسعة من ساعات النهار وانما يكتفون بقولهم (زرت فلاناً قصراً) اي عشياً ، واذا قالوا (البُهرة) لم يقولوا هي الساعة الثامنة من ساعات الليل وانما يقولون ان البُهرة وسط الليل كما ان بُهرة الحلقة وسطها و بهرة الوادي وسطه .

بقيت كلمة (الزُلّة) من اسماء ساعات الاصفهاني فاني لم أجد لها في كتب اللغة معنىً زمانياً كأخواتها وأرجح ان يكون صوابها (الزَلّة) بفتح الزاي لا ضمها ومعناها العُرس والعُرس إهداء العروس الى زوجها وهذا يكون في الليل بل في وسطه عادة . ومنه التعريس وهو نزول المسافرين آخر الليل للنوم والاستراحة ، والاصفهاني جعل الزلّة اسماً للساعة السادسة من ساعات الليل .

اما قائمة ابي جعفر النحاس المصري فقد اثبتها في كتابه (وصف صناعة الكتّاب) وهي هذه :

« قائمة النحاس المصري »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الذرور (أو) البكور	الساعة الاولى	الشاهد
« الثانية	البزوغ (أو) الشروق	« الثانية	الغَسَق
« الثالثة	الضحى (او) الاشراق	« الثالثة	العَتَمة
« الرابعة	الغزالة (او) الرأد	« الرابعة	الفحمة
« الخامسة	الهاجرة (أو) الضحي	« الخامسة	الموهِن
« السادسة	الزوال (او) المُتوع	« السادسة	القِطع
« السابعة	الدلوك (او) الهاجرة	« السابعة	الجوشن
« الثامنة	العصر (او) الاصيل	« الثامنة	العنكة
« التاسعة	الاصيل (او) العصر	« التاسعة	التباشير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة العاشرة	الصبوب (او) الطفل	الساعة العاشرة	الفجر الاول
» الحادية عشرة	الحدور (او) العشي	» الحادية عشرة	الفجر الثاني
» الثانية عشرة	الغروب	» الثانية عشرة	المعترض

وفي هذه القائمة كلمات تحتاج الى تحليل وتفسير كالمتوع والصبوب والشامد والجوشن والعنكة والمعترض واذا فسرناها خرجنا عن الصدد . وقد زادنا النحاس حيرة مذ خيرنا في ساعات النهار بين ان نقول كذا أو كذا وهذا دليل خامس على ان وضع هذه الاسماء إزاء الساعات اصطلاح محض لا يعرفه العرب على هذا الترتيب والتخصيص .

وقد اعتمدنا في نقل هاتين القائمتين على كتابي (نهاية الارب) للنويري و (فقه اللغة) للثعالبي ثم ذكرها كل من العاملي في كتابه (الكشكول) والسيوطي في كتابه (الكنز المدفون) .

ومرت مئات من السنين ولم يكن لهاتين القائمتين فائدة عملية حتى اخذ المزارعون في دمشق اليوم يفكرون في تنظيم (عدادين) الماء وضبط ساعاتها والتساؤل عما اذا كان من الممكن وضع اسماء لها واذ ذاك احتجنا الى الاستفادة من قائمتي الاصفهاني والنحاس جزاهما الله عنا خيراً .

غير ان في القائمتين ألفاظاً غريبة غير مأنوسة ولا مألوفة للمزارعين وهذا ما يحملنا على وضع قائمة ثالثة مستخرجة من القائمتين المذكورتين نلتقي منها أسهل الكلمات واقربها تناولاً من أفهام القوم بين وهم الذين عليهم جل الاعتماد في استعمال الكلمات وإذاعتها وهذه هي قائمتنا :

﴿ القائمة التي ينبغي التعويل عليها اليوم ﴾

« في تسمية ساعات الليل والنهار »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الشروق	الساعة الاولى	الشفق
» الثانية	البكور	» الثانية	الغسق
» الثالثة	الغدوة	» الثالثة	العتمة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الرابعة	الضحى	الساعة الرابعة	الفحمة
« الخامسة	الهاجرة	« الخامسة	المَوْهِن
« السادسة	الزوال	« السادسة	القِطع
« السابعة	الرواح	« السابعة	الزُلفة
« الثامنة	العصر	« الثامنة	البُهرة
« التاسعة	الأصيل	« التاسعة	السَحَر
« العاشرة	الطَفَل	« العاشرة	الفجر الاول
« الحادية عشرة	العشيّ	« الحادية عشرة	الفجر الثاني
« الثانية عشرة	الغروب	« الثانية عشرة	الصباح

ولم نجد بداً من اختيار القِطع للساعة السادسة الليلية هروباً من كلمة (الزلّفة) التي اختارها الاصفهاني لانها مشكوك فيها كما أشرنا . على ان كلمة (القِطع) قرآنية قال تعالى (فأسر بأهلك بقطع من الليل) ونقل المفسّر الطبري عن ابن عباس انه فسّر (القطع) بجوف الليل .

هذا ما رأيناه في وضع أسماء الساعات للمصراعين الليلي والنهاري نعرضه على اخواننا أعضاء المجمع العلمي وغيرهم من اهل الفضل ولاسيما المزارعين منهم .

واذا حاز هذه القائمة القبول لديهم وارتضوها لعروبة الفاظها ولما فيها من توحيد اصطلاحات المناطق الزراعية كان عليهم امر نشرها وتعميمها وذلك يكون باستعمالها وتعويد ألسنتهم إياها قولاً وكتابةً فلا تمضي سنة او سنتان حتى تشيع وتؤلف وتصبح مفهومة من دون تفكير : فاذا قالوا مثلاً (حق فلان في الشرب من الطَفَل الى القِطع) او (من الأصيل الى الموهن) فهموها كما يفهمون اليوم قولهم (من المادنة الى الظهر) او (من المراسلة الى ثمانية أقدام صباحاً) وتوطين النفس على الشيء كفيل بتسهيل عقباته . وتذليل صعوباته إن شاء الله .

«المغربي»

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net